

التحرير والتنوير

وفرع قوله (فهم في ريبهم يترددون) على (وارتابت قلوبهم) تفرغ المسبب على السبب : لأن الارتباب هو الشك في الأمر بسبب التردد في تحصيله فلترددهم لم يصارحوا النبي A بالعصيان لاستنفاره ولم يمثّلوا له فسلكوا مسلكا يصلح للأمرين وهو مسلك الاستئذان في القعود فالاستئذان مسبب على التردد والتردد مسبب على الارتباب وقد دل هذا على أن المقصود من صلة الموصول في قوله (الذين لا يؤمنون بـ) واليوم الآخر) . هو قوله (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) . لأنه المنتج لانحصار الاستئذان فيهم . و (في ريبهم) ظرف مستقر خبر عن ضمير الجماعة والظرفية مجازية مفيدة إحاطة الريب بهم أي تمكنه من نفوسهم وليس قوله (في ريبهم) متعلقا ب (يترددون) . والتردد حقيقته ذهاب ورجوع متكرر إلى محل واحد وهو هنا تمثيل لحال المتحير بين الفعل وعدمه بحال الماشي والراجع . وقريب منه قولهم : يقدم رجلا ويؤخر أخرى . والمعنى : أنهم لم يعزموا على الخروج إلى الغزو . وفي هذه الآية تصريح للمنافقين بأنهم كافرون وأن ا أطلع رسوله E والمؤمنين على كفرهم لأن أمر استئذانهم في التخلف قد عرفه الناس .

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره ا انبعائهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) عطف على جملة (فهم في ريبهم يترددون) لأن معنى المعطوف عليها : أنهم لم يريدوا الخروج إلى الغزو وهذا استدلال على عدم إرادتهم الخروج إذ لو أرادوه لأعدوا له عدته . وهذا تكذيب لزعمهم أنهم تهيأوا للغزو ثم عرضت لهم الأعذار فاستأذنوا في القعود لأن عدم إعدادهم العدة للجهد دل على انتفاء إرادتهم الخروج إلى الغزو . و (العدة) بضم العين : ما يحتاج إليه من الأشياء كالسلاح للمحارب والزاد للمسافر مشتقة من الإعداد وهو التهيئة . والخروج تقدم آنفا .

(لو) شرط عليه دل ما على استدراك (انبعائهم ا كره ولكن) قوله في والاستدراك A E من فرض إرادتهم الخروج تأكيد الانتفاء وقوعه بإثبات ضده وعبر عن ضد الخروج بتثبيط ا إياهم لأنه في السبب الإلهي ضد الخروج فعبر به عن مسببه واستعمال الاستدراك كذلك بعد (لو) استعمال معروف في كلامهم كقول أبي بن سلمى الضبي : .

فلو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر وقول الغطمش الضبي : .
أخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب إلا أن استدراك ضد الشرط

في الآية كان بذكر ما يساوي الضد : وهو تثبيط اﻻﻳﺎﻫﻢ ﺗﻮﻓﯩﺮﺍ ﻟﻔﺎﺋﺪﺓ ﺍﻻﺳﺘﺪﺭﺍﻙ ﺑﯩﻴﺎﻥ
ﺳﺒﺐ ﺍﻻﻣﺮ ﺍﻟﻤﺴﺘﺪﺭﻙ ﻭﺟﻌﻞ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺴﺒﺐ ﻣﻔﺮﻋﺎ ﻋﻠﻰ ﻋﻠﺘﻪ : ﻭﻫﻲ ﺍﻥ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﻛﺮﻩ ﺍﻧﺒﻌﺎﺋﻬﻢ ﻓﺼﯩﻐ
ﺍﻻﺳﺘﺪﺭﺍﻙ ﺑﺬﻛﺮ ﻋﻠﺘﻪ ﺍﻫﺘﻤﺎﻣﺎ ﺑﻬﺎ ﻭﺗﻨﺒﯩﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻥ ﻋﺪﻡ ﺇﺭﺍﺩﺗﻬﻢ ﺍﻟﺨﺮﻭﺝ ﻛﺎﻥ ﺣﺮﻣﺎﻧﺎ ﻣﻦ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ
ﻭﻋﻨﺎﻳﺔ ﺑﺎﻟﻤﺴﻠﻤﯩﻦ ﻓﺠﺎﺀ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﺑﻨﺴﺞ ﺑﺪﯨﻊ ﻭﺣﺼﻞ ﺗﺄﻛﯩﺪ ﻣﻊ ﻓﻮﺍﺋﺪ ﺯﺍﺋﺪﺓ .
ﻭﻛﺮﺍﻫﺔ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﺍﻧﺒﻌﺎﺋﻬﻢ ﻣﻔﺴﺮﺓ ﻓﻲ ﺍﻻﻳﺔ ﺑﻌﺪﻫﺎ ﺑﻘﻮﻟﻪ (ﻟﻮ ﺧﺮﺟﻮﺍ ﻓﯩﻜﻢ ﻣﺎ ﺯﺍﺩﻭﻛﻢ ﺇﻻ ﺧﺒﺎﻻ) .
ﻭﺍﻻﻧﺒﻌﺎﺋﻢ ﻣﻄﺎﻭﻉ ﺑﻌﻨﻪ ﺇﺫﺍ ﺃﺭﺳﻠﻪ .
ﻭﺍﻟﺘﺘﺒﯩﻂ ﺇﺯﺍﻟﺔ ﺍﻟﻌﺰﻡ . ﻭﺗﺘﺒﯩﻂ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ : ﺍﻥ ﺧﻠﻖ ﻓﯩﻬﻢ ﺍﻟﻜﺴﻞ ﻭﻭﻋﻒ ﺍﻟﻌﺰﯨﻤﺔ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻐﺰﻭ .

(ﻭﺍﻟﻘﻌﻮﺩ) ﻣﺴﺘﻌﻤﻞ ﻓﻲ ﺗﺮﻙ ﺍﻟﻐﺰﻭ ﺗﺸﺒﯩﻬﺎ ﻟﻠﺘﺮﻙ ﺑﺎﻟﺠﻠﻮﺱ .
ﻭ (ﺍﻟﻘﻮﻝ) ﺍﻟﺬﻯ ﻓﻲ (ﻭﻗﯩﻞ ﺍﻗﻌﺪﻭﺍ) ﻗﻮﻝ ﺃﻣﺮ ﺍﻟﺘﻜﻮﯨﻦ : ﺃﻱ ﻛﻮﻥ ﻓﯩﻬﻢ ﺍﻟﻘﻌﻮﺩ ﻋﻦ ﺍﻟﻐﺰﻭ .
ﻭﺯﻳﺎﺩﺓ ﻗﻮﻟﻪ (ﻣﻊ ﺍﻟﻘﺎﻋﺪﯨﻦ) ﻣﺬﻣﺔ ﻟﻬﻢ : ﺍﻥ ﺍﻟﻘﺎﻋﺪﯨﻦ ﻫﻢ ﺍﻟﺬﯨﻦ ﺷﺄﻧﻬﻢ ﺍﻟﻘﻌﻮﺩ ﻋﻦ ﺍﻟﻐﺰﻭ
ﻭﻫﻢ ﺍﻟﻀﻌﻔﺎﺀ ﻣﻦ ﺻﺒﯩﺎﻥ ﻭﻧﺴﺎﺀ ﻛﺎﻟﻌﻤﻲ ﻭﺍﻟﺰﻣﻨﻲ .

(ﻟﻮ ﺧﺮﺟﻮﺍ ﻓﯩﻜﻢ ﻣﺎ ﺯﺍﺩﻭﻛﻢ ﺇﻻ ﺧﺒﺎﻻ ﻭﺍﻟﻮﻭﻋﻮﺍ ﺧﻼﻟﻜﻢ ﻳﯩﻐﻮﻧﻜﻢ ﺍﻟﻔﺘﻨﺔ ﻭﻓﯩﻜﻢ ﺳﻤﺎﻋﻮﻥ ﻟﻬﻢ
ﻭﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﺑﺎﻟﻈﺎﻟﻤﯩﻦ) ﺍﺳﺘﺌﻨﺎﻑ ﺑﯩﺎﻧﻲ ﻟﺠﻤﻠﺔ (ﻛﺮﻩ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﺍﻧﺒﻌﺎﺋﻬﻢ ﻓﺘﯩﻄﻬﻢ) ﻟﺒﯩﺎﻥ ﺍﻟﺤﻜﻤﺔ ﻣﻦ
ﻛﺮﺍﻫﯩﺔ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﺍﻧﺒﻌﺎﺋﻬﻢ ﻭﻫﻲ ﺇﺭﺍﺩﺓ ﺍﻻﻳﺎﻫﻢ ﺳﻼﻣﺔ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﯩﻦ ﻣﻦ ﺇﺿﺮﺍﺭ ﻭﺟﻮﺩ ﻫﯘﻻﺀ ﺑﯩﻨﻬﻢ ﺍﻧﻬﻢ ﻛﺎﻧﻮﺍ
ﻳﺰﻣﺮﻭﻥ ﺍﻟﻤﻜﺮ ﻟﻠﻤﻠﻤﯩﻦ ﻓﯩﺨﺮﺟﻮﻥ ﻣﺮﻏﻤﯩﻦ ﻭﻻ ﻓﺎﺋﺪﺓ ﻓﻲ ﺟﯩﺶ ﻳﻐﺰﻭ ﺑﺪﻭﻥ ﺍﻋﺘﻘﺎﺩ ﺍﻧﻪ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺤﻖ
ﻭﺗﻌﺪﯨﺔ ﻓﻌﻞ (ﺍﻟﺨﺮﻭﺝ) ﺑﻔﻲ ﺷﺎﺋﻌﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﺨﺮﻭﺝ ﻣﻊ ﺍﻟﺠﯩﺶ .
ﻭﺍﻟﺰﯨﺎﺩﺓ ﺍﻟﺘﻮﻓﯩﺮ